

الرحلة المثيرة التي قطعها بطل الكتاب من الشرق إلى الغرب ، وأحسنَ استغلالها وإن لم يتصنع اختلاقها ، فجاءت تحمل الكثير من التلقائية وحسن البديهة . فبعد أن استقر عَلم الدين في القاهرة وعاش طالباً للعلم مجاوراً بالأزهر يضطر إلى العودة إلى قريته - بعد وفاة أبيه - فيحكى عن القرية وأحوالها وما ينطوى عليه طبع بعض البشر من انتهاز للفرص كما في قصة الشيخ «سويلم الضرير» الذي انتهز خلوة القرية من شيخ لمسجدها ومأذون لأهلها بموت أبي علم الدين . فنصَّب نفسه شيخاً «مؤقتاً» إلى حين عودة علم الدين ، ثم شيخاً دائماً بعد رفض علم الدين أن يأخذ مكان أبيه ونيته الرجوع إلى القاهرة والأزهر لمواصلة التعلم . وبعد عودته تصحبه أخواته الصغيرات وهن في عمر يحتاج إلى رعاية من تقوم بدور الأم فيفكر في الزواج ويختار أخت صديق له تُدعى «تقية»^(٦) زوجاً له ، وبالمناسبة يحكي عن فضيلة الزواج ، وأمام كثرة العيال وقلة المال وإلحاح^(٧) زوجته أن يعود بهم إلى قريته يحكى للزوجة أن الريف ليس أحسن حالاً من المدينة كما تظن ، ويستعرض أوضاعها وأزماتها ، ويعهد بحديثه لعرض الخواجة الإنكليزي لشيخ الأزهر أن يتطوع أحد علمائه لاصطحابه إلى بلده للقيام بعمل علمي لتحقيق أحد راجع اللغوية الهامة هو « لسان العرب » لمحمد بن أبي الحسن نزرجي الأنصاري^(٧) « المسامرة السادسة » ، ويرر قبوله السفر